دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية في تفعيل التنوع الثقافي

الدكتورة إيناس محمد عليان عليمات كلية الملكة رانيا للطفولة /الجامعة الهاشمية (الأردن)

يتم تفعيل التنوع الاجتماعي من خلال عدد من المؤسسات الاجتماعية والجماعات التي ينتمي اليها الفرد ويرتبط بها، ومن هذه المؤسسات: الأسرة المدرسة، جماعة الرفاق، دور العبادة، النوادي، وسائل الاعلام ، اماكن العمل... والمجتمع بصفة عامة.

ويظهر ثلاثة انماط للتنشئة الاجتماعية الاسرية وهي النمط الدكتاتوري التسلطي والمتساهل التسيبي الديمقراطي، وقد اشارت العديد من الدراسات التربوية تقبل التنوع الثقافي والاجتماعي تزداد عند الافراد الذين تعرضوا لنط التنشئة الديمقراطي، بينما الافراد الذين تعرضوا لنمط التنشئة التسيبي والنمط الدكتاتوري تزداد الانحرافات والعنف وعدم تقبل التنوع الثقافي. (عويدات،٢٠٠٦) وتلعب الاسرة الدور الاساسي في صلاح الافواد وفي انحرافهم من خلال النماذج السلوكية التي تقدمها لأطفالها، فأنماط السلوك والتفاعلات التي تدور داخل الاسرة هي النماذج التي تؤثر سلباً او ايجاباً في تربية الناشئين، فقد اشارت بعض الدراسات الى ان الاطفال الذين يتعرضون لسوء معاملة الوالدين اثناء طفولتهم او شاهدوا نماذج العنف داخل اسرهم فأنهم غالباً ما يربون أبناءهم بنفس الاسلوب(الترتوري وجويحان،٢٠٠٦) .

أولا: اشباع احتياجات الابناء

ترتبط احتياجات الافراد بخصائص المرحلة العمرية والأوضاع الاجتماعية التي يعيشونها والتي تجعل لهم طبيعة خاصة لكي تجعل لهم طبيعة خاصة ولكي يؤدي الابناء الدور المطلوب منهم يجب أن تتفهم تلك الاحتياجات وتوفر سبل اشباعها (اليوسف،٢٠٠٤). ويعرف علماء النفس الحاجة على انها: حالة من النقص والافتقار والاضطراب الجسمي والنفسي، ان لم تجد اشباعاً أثارت لدى الفرد نوعاً من التوتر والضيق لا يلبث ان يزول متى أشبعت الحاجة . وترى نظرية الحاجات ان الحاجة هي الدافع وراء كل سلوك وكل انسان له عدد من الحاجات التي يتنافس بعضها بعضاً وتوجه سلوك الانسان من اجل اشباعها واذا لم تشبع يترتب على ذلك خلل يؤثر في صاحبها (الترتوري وجويحان،٢٠٠٦).

ومن هنا يأتي دور التربية الاسرية لإشباع احتياجات الابناء الصحية والنفسية والاجتماعية وذلك لكي يتحقق لهم التوافق الاجتماعي الافضل ويعملوا على تحقيق الاهداف المجتمعية في الوقت نفسه. وقد أكدت الكثير من الدراسات ان انضمام الشباب الى الجماعات الارهابية يرجع الى اسباب نفسية ومن اهمها عدم اشباع الحاجات الضرورية او النمو المضطرب للذات او بسبب الحرمان من الوالدين وخاصة الام بل ان٧٨% من اسباب ظهور الجماعات الارهابية هو بديل لما يعانيه الفرد من الحرمان النفسي(اليوسف،٢٠٠٤) .

ويجب على الاسرة ايضاً تأصيل وتعميق قيم الانتماء لدى افرادها والتي تعد من الحاجات الاساسية للنمو النفسي والنمو الاجتماعي ومن ثم الانتماء بالمجتمع كله في مرحلة تالية وهذا يدفع الوالدين الى ضرورة عدم الاتيان بأي افعال من شأنها أن

تشعر الابناء بأنهم غير مرغوب فيهم وإهمالهم وتوبيخهم ونبذهم بصورة متكررة ، فلمثل هذه الافعال اثر سيئ في التكوين النفسي والاجتماعي للأبناء والصحة النفسية للفرد في مرحلة تالية بصفة عامة.

ثانياً: تكوين الاتجاهات الايجابية نحو العمل- بصفته قيمة- وشغل وقت فراغ الابناء:

وهنا يكون دور التربية الاسرية في محاولة شغل وقت فراغ الابناء بما يفيد فقد يسهم انشطة الفراغ بالاتصال والتكامل الاسري عندما تتوحد الانشطة بين الوالدين والأبناء وأيضا توجيه الابناء نحو ممارسة الانشطة الترويحية المرغوبة، خاصة في اوقات العطل المدرسية، كالرياضة وارتياد المكتبة، وممارسة الانشطة الدينية، والانشطة الثقافية والمسرحية، والجمعيات العلمية والرحلات، وذلك عن طريق المراكز او الاندية. ويكون ذلك تحت عناية ورعاية اسرية (اليوسف،٢٠٠٤)

وايضا يجب أن تغرس التربية الاسرية في الفرد منذ طفولته بأهمية العمل وقيمته وأن يتقبل العمل مهما كان نوعه وتزيل جميع التحفظات حول التعليم المهني والصناعي . وبالتالي فأن التربية الاسرية عندما تشجع الابناء على العمل اي كان نوعه فتبعد بذلك ابناءها عن التعرض للفراغ الذي يدفع بالشباب الى الالتحاق بالجماعات الارهابية وعدم تقبل التنوع الاجتماعي مستغلين وجودهم بلا عمل او مورد رزق فالإنسان العاطل الذي ليس له مورد رزق ثابت يجد فراغاً غير محدود في وقته يؤدي الى حالة من الاحباط الوقتي تعطي القائمين على تلك الجماعات منفذاً سهلاً لجذبه بحجة انتشاله من البطالة والفراغ والفقر.

ثالثاً: ممارسة أسلوب الديمقراطية وحرية الرأي عند التعامل مع الابناء

أن تدريب الفرد في مراحل العمر المختلفة على آداب الحوار والقدرة على الاستماع والاستيعاب للرأي الاخر والتدريب على ممارسة حرية الرأي، يجعله قادرا على تحمل المسؤولية. ويمكن اشباع ذلك ايضا عن طريق تشجيع الابناء بالاشتراك في جمعيات الخطابة والصحافة المدرسية، ويجب أن تقوم الاسرة بالتعليق على الاحداث الإرهابية، وتستغل ذلك لمناقشة الابناء وتوضيح الصورة السلبية لتلك الافعال المشينة. ولا شك أن بعض وسائل الاعلام المعادية تستغل تلك الاحداث لتؤلب الرأي العام ، ويتأثر الابناء بذلك وهنا يأتي دور التربية الاسرية في أن توضح تلك الحقائق وتناقش الابناء وتسمع وجهة نظرهم وتوضح لهم الحقائق الخاصة بذلك الفكر الارهابي والتطرف الذي يؤدي الى العواقب الرخيمة.

وفي هذا الصدد يمكن أن نقدم تعريف التربية الديمقراطية كما وردت في المعاجم :"بأنها نظام اجتماعي يؤكد على قيمة الفرد وكرامته، وشخصيته الإنسانية، ويقوم على اساس مشاركة اعضاء المجتمع او الاسرة في ادارة شؤون الأبناء، وتتخذ المشاركة فيه أنماطا مختلفة .

فالأسرة يقيمها الديمقراطية تنتج جيلا ديمقراطيا متسلحا بالقيم التي ترفض التسلط والاستبداد وتعزز مفاهيم الخير والأمن وتتمسك بقيم العدالة وتنادي بحقوق الانسان وفق القنوات السليمة المستمدة من الشريعة الاسلامية وتعمل على احترام الحقوق والواجبات وتؤمن بالتعايش السلمي واحترام الاقليات ونبذ العدوانية، وحل الخلافات بالحوار والمناقشة. وبمعنى آخر فالتربية الاسرية هي صانعة الديمقراطية والديمقراطيين فهي اساس الحياة ونبذ التعصب والتربية الاسرية نواة التربية المجتمعية لأنها قلب الديمقراطية في المجتمع . بل ان تلك التربية الاسرية التي تعتمد على حرية الرأي والديمقراطية تربي لدى الفرد القدرة على ابداء وجهات نظره وامتلاك الوعي والإدراك ضد بعض صور الارهاب وبالتالي يستطيع الفرد

الابتعاد عن تلك الجماعات لانه تكون لديه مانع دفاعي هو الحرية والكرامة التي ساعدت التربية الاسرية ووسائطها في التكوين السليم الواعي لها(الترتوري وجويحان،٢٠٠٦).

المطلب الثاني: المدرسة ومؤسسات التعليم وأثرها في مقاومة الارهاب والعنف والتطرف وعدم تقبل التنوع الثقافي

تؤكد د.فوزية عبد الستار على ضرورة العناية بالأساليب التربوية السليمة التي يجب أن تغرس في نفوس الطلبة ليكونوا مواطنين صالحين للمجتمع ويبتعدون عن السلوك المنحرف الضار بالمجتمع وبهم. فالمدرسة هي المحيط الثاني في عملية التنشئة الاجتماعية السليمة التي تبدأ منذ سن مبكرة وتستمر الى المراحل العليا من الدراسة. ولعل المرحلة الاساسية هي اهم المراحل في حياة الفرد فمن خلالها يبدأ الاحتكاك بالعالم الخارجي ويكون علاقات مختلفة عن تلك التي كانت تنشأ بينه وبين ذويه معها علاقات مع الزملاء والاساتذة. من هنا فأن للمدرسة دوراً مهماً في ضبط السلوك وتوجيهه من بدايته. كل هذا يفرض ضرورة تعاون الاسرة مع المدرسة في حماية الطفل من الانحراف حتى لا يكون فريسة سهلة للجريمة. وتقع على عاتق المعلم المسؤولية الكبرى في مراقبة المظاهر السلوكية غير السوية كظاهرة التدخين التي قد تطور الى مظاهر انحرافية اخرى مختلفة كالسرقة وتعاطي المخدرات...وبالإضافة الى ما سبق يأتي دور المؤسسة التعليمية ذاتها والمقصود بها القائمين على العملية التعليمية ودورهم في تغذية افكار العنف والإرهاب لدى شباب المدارس والجامعات، فالمدرسة هي الوسط الاجتماعي الثاني الذي يلتقي به الطفل بعد الأسرة، وتزداد دور المدرسة خطورة بالنظر الى انها تستقبل الطفل في سن مبكرة ، كما انه يقضي فيها فترات طويلة تصل في بعض الدول الى عشر ساعات يومياً، والمدرسة تضطلع بتعليم الطفل وتثقيفه وتنمية مختلف جوانب شخصيته. والثابت ان العنف يزداد بين الفئات التي لم تتلق اي نوع من التعليم وكذلك تلك الفئات التي تعاني الفشل الدراسي، بل ان البعض يربط بين التعليم وارتكاب جريمة معينة من الجرائم او بينه وبين اسلوب ارتكابها، فيقرر ان الاميين يرتكبون جرائم تتسم بالقسوة عادة، كما أن نقص التعليم وعدم الالمام بالقراءة والكتابة قد يدفع الشباب الىقبول اي عمل لقاء اي اجر حتى لو لم يكن يتناسب معهم مما يدعم عدم التكيف الاجتماعي، الامر الذي قد يسفر عن سلوك عنف(حسنين،٢٠٠٢)

يمكن القول ان المدرسة يجب ان تتحمل الدور المناط بها في زيادة تقبل التنوع الاجتماعي لدى افراد المجتمع حيث ان الامن يرتبط ارتباطا وثيقاً وجوهرياً بالتربية والتعليم، اذ يقدر ما تنغرس القيم الاخلاقية النبيلة في نفوس أفراد المجتمع بقدر ما يسود ذلك المجتمع الامن والاطمئنان والاستقرار. ويمثل النسق التربوي احد الانساق الاجتماعية المهمة التي تؤدي عملا حيويا ومهما في المحافظة على بناء المجتمع واستقراره، حيث تظهر اهمية النظام التربوي ووظيفته المهمة في بقاء وتجانس المجتمع من خلال ما يقوم به النظام التعليمي من نقل معايير وقيم المجتع من جيل الى اخر (اليوسف،٢٠٠٤)

ومن أهم المواد الدراسية التي تساهم بدور فاعل في خدمة الامن لدى الطلاب هي مواد التربية الدينية التي تدرس في جميع المراحل الدراسية منذ المرحلة الاساسية الى اعلى المراحل الدراسية . وتقوم مواد التربية الدينية على ترسيخ العقيدة في نفوس الطلاب في المراحل الاولى للتعليم، ومما لا شك فيه انعكاس هذه العقيدة على سلوك الطالب سوف يجعل منه مواطناً صالحاً مساعداً في أمن وطنه وأمانه ، وباستعراض دروس التربية الاسلامية في المرحلة الاساسية نجد انها ترتكز على الايات القرآنية والأحاديث الشريفة التي تربي النفس على القيم الفاضلة (يوسف،٢٠٠٤)

المطلب الثالث: دور العبادة

تعتبر دور العبادة من أهم المؤسسات التي تسهم اسهاماً فعالاً في تنشئة الفرد وتشكيل شخصيته، فهي تكسب روادها قيماً واتجاهات وعادات اجتماعية وخلقية تعاونية سليمة، وبما أن المجتمع العربي يعتبر مهد السماوات الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلامية. ونظراً لوضوح المضمون الاجتماعي للدين ولانه يعالج القضايا الاجتماعية ، التربوية، وخاصة الدين الإسلامي، فان على الوعاظ ان يستغلوا بخطبهم ودروسهم الدينية ايصال القيم الروحية النبيلة الى جيل الشباب ومعالجة المشاكل الاجتماعية والسياسية، الا ان هناك نقراً ولأغراض خاصة يوجهون دفة الدين الى غير وجهته، ويزرعون المبادئ التي تخدم أهدافهم في جيل غير واع من الشباب المتحمس، مما يدفع الشباب الى الاعتقاد بأن هذا هو الطريق السليم والقويم في اتباع تعالم الدين (الترتوري وجويحان،٢٠٠٦).

المطلب الرابع:جماعة الرفاق

يعد الاتصال مع الاخرين والاجتماع معهم حاجة لدى الانسان يجني من ورائها فوائد كثيرة: فهي تبث في نفسه الشعور بالامن والانتماء، وتتيح له فرصة اظهار شخصيته وتوكيدها، وتزوده بخبرات ومهارات جديدة ...الى ما هنالك من فوائد..ولكن احيانا يجد بعض الاشخاص انفسهم خاصة الشباب منهم في أحضان ثلة من الرفاق يتحكمون فيعم دون أن يفيدوهم او ينصحوهم، وسرعان ما يكتسبون منها أنماطاً سلوكية كثيرة تحول دون تكيفهم السليم في المجتمع . فتشكل بهذا مصادقتهم عاملاً من العوامل الدافعة للجريمة. وأشارت في هذا المجال معطيات أحدى الدراسات الى ان نسبة كبيرة من الشباب قادتهم ظروفهم الى معاشرة اصدقاء السوء، وكانوا لهم قدوة سيئة قادتهم الى الجريمة (خوالدة،٢٠٠٨)

المطلب الخامس: العمل

يعد العمل من المسائل المهمة في حياة الانسان والتي تعتمد عليها مسائل أخرى، والانسان دائم الجهد لحل المشاكل التي تعترض سبيل حصوله على عيشه، كذلك يجتهد لزيادة رفاه هذا العيش. وعلى هذا الاساس ربطت نتائج بعض الدراسات بين بيئة العمل ونوعه ونشاط الانسان من جهة وبين مشكلة التطرف وعدم تقبل الاخرين (برقاوي،١٩٩٥)

لا شك في أن بدء العمل في سن مبكرة عن سن العمل المحدد تحت ضغط ظروف تأتي في مقدمتها الفقر والحاجة المادية الى جانب الفشل الدراسي قد يفتح امام هؤلاء العاملين الصغار الطريق لتعلم مظاهر سلوكية غير سوية ولا تتناسب مع اعمارهم كالتدخين والسهر خارج البيت. علماً بأن المدرسة ليست فقط المكان الذي يتلقى فيه الطالب المعلومات، انما هي المكان الذي يعده للعمل ويجعله أقدر و أكثر حكمة في اختيار العمل المناسب. بالرغم من أن الطالب ينسى ما تعلمه في المدرسة من علوم لكن ذلك يصقله ويهيئه للكفاية العقلية والجسدية.

النتائج:

أظهرت النتائج ان دور مؤسسات التنشئة والضبط الاجتماعي في تفعيل مفهوم التنوع الثقافي و الاجتماعي توصلت الدراسة الى ان هناك علاقة كبيرة بين مؤسسات التنشئة الاجتماعية وانماط التنشئة وبين حدوث المشاكل، وكذلك هناك علاقة كبيرة لدور مؤسسات التنشئة كالاسرة والمدرسة ودور العبادة ، جماعة الرفاق والعمل والاعلام.

التوصيات :

اجراء المزيد من الدراسات لتفسير مشكلة عدم تقبل التنوع الثقافي والتركيز على أهمية الوعي في مكافحة العنف المجتمعي و وهنا يأتي دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية المختلفة والمؤسسات الدينية في تشكيل وعي يحارب العنف وثقافة التطرف وضرورة تظافر كافة الجهود لحل المشكلات التي تعاني منها المجتمعات العربية،كالديون، والبطالة، وارتفاع الاسعار، ومشكلات الصحة وهي من الاسباب التي دفعت كثير من الشباب الى عدم تقبل التنوع الاجتماعي ثم التطرف .